

ز - احمد عبدالعطي حجازي

أوراس

مدن المغرب
ترتج على قمة أوراس
زلزال في مدن المغرب
لم يهدأ منذ سنين مائة
لم يترك في جفن أملأ لنعاس
يأتي الملوود على صوت الزلزال
ويموت رجال
فيودعهم صوت الزلزال
جيل عن جيل ، أجيال
عاشت ، ماتت في الزلزال
فالجبل هناك له روح تسرى
تحت الفجر
تسرى في قلب الأحياء
وترن بجوف الأشياء
وتنادى : يانسرى
يانسرى الغائب ، عد للغاية يانسرى !
حطم سجنك
غالب زمناك
وارجع ، فالعش على صدرى
خاوينتظرك ، يانسرى
ارجع ياشمس الحرية !

وتهب الريح الشرقية
وينز الطلق وراء الطلق
فيردده طبل في الأفق
ويعود الطلق ينز
والصمت يسبح
وثلاثة أشباح تغدو وتروح
في غابات الأرز
صاروا شبحين
والثالث تحت الليل جريح
وضياء سراج من بعد يهتز
ويد تهتز وتخفيه
تخفيه منذ سنين مائة
تخشى أفواها تطفيه
تخشى أفواها سكرانة
أفواها مظلمة قذرة
جاعت من أقطار الخمرة
حيث تباع الخمرة للباكي
وبياع الباكي للساقى
وبياع الساقى للكرمة
والكرمة تملك كل الناس
مدن المغرب
ترتج على قمة أوراس

وتهب الريح الشرقية
تنشب مخلبها في الثلج
وتقلب أحشاء الموج

ويطوف زئير كالوهج
يجتاح القمة والتلا
ابن بللا !
أسروا بن بللا !
ثورة
تنتفض الأعماق الحرة
تهوى مدن
تتعارك مخلوقات النور ومخلوقات الحفرة
يلقى رجل محبوبته آخر مرة
يتلمس في ضوء القمر الوانى جذع الشجرة
يشقى
حتى يجد اللفظ ، النيرة
ليقول وداعا !
حين ثور
ما أجملنا يوم الثورة
يوماً نعرف فيه الصدق
نصفو ، ونرق
فنرى بلداً ورعا
الناس به يمشون معا
يشدون معا ، يبيكون معا
وإذا مات الانسان به ،
عرف الانسان به قبره
ثورة .
المغرب ثار
ضربات جناحك يانسرى
فى المغرب نار

آه !

لو أن جناحك فوق المشرق طار

آه !

لو أن النار سرت فى باقى الدار

ياويلى !

ياأحزانى ! ياقضبان الليل

غورى !

فطلائعنا فاضت كالسيل

الفارس عاد

مرت ألف وثلاثمائة

من يوم رماه المشرق للمغرب

يدعو : الله !

يزجى فى ظلمات الدنيا قرسه

يدعو : الله !

يضرب

يعطى رأسه

يدعو : الله !

الفارس عاد

مرت ألف وثلاثمائة

عرف الآلام بها ، ياكم عرف الآلام

حين استلقى فى الظل ونام

فى ظل الكرمة حين ارتاح

وأتى بالقينة والأقداح

والمضحك ، والمداح

جافته الفكرة

ورمته فى التيه السكرة

جافاه ظهر الخيل
ورماه الليل وراء الليل

مت فى الدنيا تحي !
غب تشهد
أسكت تقلت
من يستفهم يندم

ماذا تخفى الأنجم ؟
فى أى زمان نحن ، وأى مكان
نظروا فى الأنجم ألف مساء
قرأوا فى المرصد ألف دعاء
وأجابوا فى صوت أبكم
هذا يامولانا آخر زمن
هذا زمن النسيان !

وأجاب البحر بما لا فى الحسين
سفن الرومان !

تجار الخمره
خرجوا كبرابرة الماضى المنسى
فى أيديهم كتل الأحجار
سفحوا دمنا أنهاراً فى القدس
داسوا زمن الأشعار

" قتلوا رجلا

" رجلا - ما أطيبه ! - طفلا

" فى الصقع الواسع بقعة دم

" كالشمس إذا مالت للغرب
قتلوا رجلا تهواه النسوة والأطفال
" رجلا مثلي !
قتلوا إيلوار !

سنوات عجفاء
مرت لم يمطرها ماء
نوت الأعشاب
وامتصت دجلة ألف كتاب
ذابت في النهر عيون الشعراء
وتفرق في التيه الأعراب
في التيه دعونا صلينا
وبكينا من قلب التاريخ وأعولنا
من قلب الأرض المنخوبة غنينا

" يا بلأ ظامئة !
يا شعباً حيراناً
يا أطفالاً صما ، أطفالاً عمياناً
يارملاً مصفراً ، ياصيفاً مصفراً
يا صباراً مصفراً
يادنيا تشناق الألوان
يانسوتنا إنا متنا
فابكين علينا ، واذكرن الليل الفواح برغبتنا
واذكرن الصوت الملائنا
إنا ندعو
من يسمعنا !

لما كانت يافا يافا !
وأخيراً ، ماذا بعدك يا يافا ؟
كم سنة ونصير حكاية
ويقول التاريخ : العرب انقرضوا
فى القرن العشرين انقرضوا !
كانوا أهل حضارة !

أنكون شهود المأساة ؟
أأكون أنا آخر أبناء أبى ؟
أموت بلا ولد يتلو شعر العرب ؟
قولى يا أوراس
قولى يا حارسة الأبناء
وهموا مازالوا فى الغيب
يا ينبوعاً يغسل عار الماضى
يا كفا تبنى أنقاضى
يا نور العرب على طول البحر الأبيض
يا أمنى !
يا فخرى !
يا ملهمنى شعرى !
يا أوراس !

أوراس اسم جبال عليا
واسم القمة " شليا "
فرس على عبرتها
رسمت سنيكها فيها
ما زال الصوت على القمة

فوق الثلج البارد
ما زال صدى الخيل الشارد
عبر الغابات ينادى فى القمة
وامتصماه!
لازدرع ، و نار فى الزيتون
والقرية تحت الصليب خراب
والأفق تراب
وشباب تحت مقاصل "ميرابو"
يسقون العين بكل النور قبيل الذبح
يامغرب ! يامغرب !
من أين أتيت بكل ضحاياك ؟!
هل أنت معين رجال لا ينضب !
أين الدنيا ، كل الدنيا تعجب
من أين أتيت بكل ضحاياك ؟!
إنك منى ملحمة كبرى
يامن ستكون إلى يافا أول عائد
يامن ستخط على قمة أوراس
اسمك ، واسم الشعب العائد
لك منى ملحمة كبرى
ولكل شهيد أغنية
وسأظل أسطر وأمزق ،
حتى أنقل فيها الفرحة
فالشعب سيبحث عن لجن ليرده
وهو يدق الأرض بأقدام مرحة
غنوا أشعاري يا أبطال
مات الصف الأول !

إصعد !

إصعد ، لا تتردد !

مات الصف الثاني

إصعد !

دس فوق وجوه أحيائك

وأذكرهم بعد النصر

أعدائك جبناء كالورق الطائر في الريح

أرأيت إلى ورق غادر شجره

هل يستوطن شجراً آخر ؟

أرأيت إلى امرأة حرة

هل تهوى إلا صاحبها الأول

أرضك تهواك وتنتظرك

الأرز حزين

القرية تحت الصلب خراب

والأفق تراب

وتسيل دماء دافئة فوق الثلج

وتميل رقاب

وتعود الشمس ككل غروب

ويؤوب الصمت يؤوب

وتنير الشمس صواري مصلوبة

في بحر الروم

وتنير مآذن قوطية

من يصعد سلمها يلهث

الشمس تعود هنا

وتنير قصورا أثرية

عاشت فيها خيل الأعراب
لكن ما زالت فيها فسقية
مكتوب فيها " بسم الله بناه رحاب
في السنة الأربعمائة وخمس هجرية "

يا زمناً راح !
كانت سفن المغرب فيه أميرة
ترتاح على كل جزيرة
وتسد البرزخ في وجه الأسبان
وتروح بخيرات
وتعود بخيرات
باسم السلطان
يا زمناً راح !

أنذا أبكيك ، ولكني
أشهد ميلادك في أوراس
أنس نارا

وأرى أعلما ، ثوارا
ميلاد نبي عربي آخر
يا إيوان الفرس تصدع
ميلاد نبي عربي آخر
يا شعب الصحراء تجمع
الفارس عاد

الجبهة مصباح وقاد
والعين حنان ، عزم ، زاد
والخيل لغير يديه لا تنقاد
فاشتمدي

أيتها الريح الشرقية

وامتدى!

وامتدى!

أنذا يازمن الحرية

أشهد ميلادك في الظلمة

وأغنى للسارى فيها

للميت في أعلى القمة

لقلوب نساء

تنتظر على سفح التل

يوم العودة للزرع والنسل

يوم الحب الأخضر

١٩٥٦

أيتها الريح الشرقية
وامتدى!
وامتدى!
أنذا يازمن الحرية
أشهد ميلادك في الظلمة
وأغنى للسارى فيها
للميت في أعلى القمة
لقلوب نساء
تنتظر على سفح التل
يوم العودة للزرع والنسل
يوم الحب الأخضر
١٩٥٦
أيتها الريح الشرقية
وامتدى!
وامتدى!
أنذا يازمن الحرية
أشهد ميلادك في الظلمة
وأغنى للسارى فيها
للميت في أعلى القمة
لقلوب نساء
تنتظر على سفح التل
يوم العودة للزرع والنسل
يوم الحب الأخضر
١٩٥٦

تجربة نقدية ٧:

أحمد عبد المعطى حجازى شاعر متميز من شعراء الحداثة فى الأدب العربى الحديث .. يتكون ديوانه من أوراس (قصائد مابين سنتى ٥٦ إلى ١٩٦٢) ومدينة بلا قلب طبعة ثانية ١٩٦٨ ولم يبق إلا الاعتراف ١٩٦٥ . ومرثية للعمر الجميل (قصائد مابين سنتى ١٩٦٥ و ١٩٧٢) "وكائنات مملكة الليل" (قصائد مابين ١٩٧١ إلى ١٩٧٨ . هذا بالإضافة لديوانه الأخير ١٩٨٩ أشجار الأسمت . وكتاباتة النظرية ودراسة (قصيدة لا) .

الموقف الراض منذ البداية .. الثورية الوطنية . تبدو "أوراس" من أقدمها، وأدناها على ما تعنى . وهناك "الموت فى وهران" المستخدمة لنظام الشعر التقليدى وهو ما يجب أن ينتبه له الشباب الذى يجرب كتابة الشعر الجديد بدون دراية بالعروض فلنا منه أن التجديد كان على حساب الوزن والقافية. وهذا وهم فى الأول وفى الآخر فالجيل الرائد فى هذا المضمار جيل على صلة وثيقة "بالموروث" الشعرى والبلاغى العربى من أوسع أبوابه. ولهذا تجد لديهم المعرفة والدراسة الكافية بالوزن والعروض والقوافى كما نجد عند صلاح عبد الصبور فى "الناس فى بلادى" وعند أحمد عبد المعطى حجازى وغيرهم .

فى مائتين وثمانين سطرأ قصيراً تقع "أوراس" . تقع مفردات أسطرها بين كلمة واحدة وستة كلمات . ولكن الأكثرية الغالبة من الجمل القصيرة كلمة أو اثنين أو ثلاث . والأقل من الجمل الأكثر طولاً خمس أو ست كلمات . محور مضمونها حول ثورة الجزائر الوطنية التى انتهت بتحريرها سنة ١٩٦٢ من الإستعمار الفرنسى وكان لجمال عبد الناصر دور بارز فى حركة التحرير الجزائرية وكان بن بيلا يعتمد عليه كثيراً حتى تكلت الثورة بالنجاح .

وهذه القصيدة تمثل مرحلة من شعر أحمد عبد المعطى حجازى تتسم بوضوح
الفكرة والعبارة قبل أن تتكثف عنده وتتلفز وتتعاظم درجة التدايعات النابعة من
تراكيب الجمل . والقصيدة شبه حكاية حول الثورة البداية والأمل . ولذلك فإن
تاريخها (١٩٥٦) يعين على اكتشاف المرحلة التاريخية المنوه عنها . حتى لاتضيع
الدلالة وسط زحام الأحداث السياسية المختلفة .

ولأن الموضوع يخص ثورة الجزائر فسوف يكون من الأوفق البحث فى
المعاجم اللغوية من هذه الدائرة : الجبال . الجوف . تسر . أشجن . الحرية . الريح . المطلق .
ترتج . زلزال . الجبل . جوف . تسر . أشجن . الحرية . الريح . المطلق .
الأفق . ينز . يهتز . مخلب . الثلج . الموج . زئير . الوهج . القمة . التل . الثورة .
أحزان . الليل . السيل . الفارس . الخيل . الصقيع . دم . قتلوا . متنا . ابكين .
الصوت . يبعث . يرجع . أحراش .
وهذه مقترحات من نعت القصيدة الأولى ثم لاحظنا أن الكثرة منه يتكرر فى
النصف الباقى .

النص مزيج من آلام وآمال .. الخوف من المستقبل الغامض للأمة العربية ..
مزيج من النكاء على العرب فى الأندلس والعرب فى فلسطين . والاستعمار فى المغرب
العربى . إحساس حاد بالواقع السياسى المعاصر . وهو إحساس ينعكس أيضاً
عن شخصية الشاعر حاد الملاحظ . الذى يعرفه أيضاً يعرف حدة فى الطبع
والتفكير .. نوع من الحسم جعله على غير وفاق أبداً مع الواقع ، على درجة من
الحساسية شديدة لم يتوافق مع الثورة المصرية كثيراً .. وعندما مات عبد الناصر
كان عليه أن يرحل بعيداً عن مصر مع عدد كبير من المثقفين نزلوا قرناً مرغمين
حيث عمل فى مجالات متعددة آخرها تعليم العربية بجامعة باريس على ماأذكر . ثم
يعود إلى مصر منذ حين ليستقر فيها وهو لازال على غير وفاق ولكن بصورة أقل
حدة ربما بحكم التقدم فى العمر قليلاً .

أهم خصائص هذا النص على وجه التحديد . الوضوح . والتراكيب غير
المفرقة في الغموض . وهو ما يميز شعره من بعد . إذا كان في هذا ميزة . وهذا
متغير من بين متغيرات عدة . تعود للبيئة الثقافية ، والبيئة الإجتماعية وطبيعة طرفي
المعادلة المرسل Sender والمستقبل Reciever .

والنص يحتوى على تضمينات تاريخية عدة . الفتح الإسلامى . منذ ألف
وثلاثمائة سنة . (الطلانع) المغول . بغداد . وامعتصماه . العرب في أسبانيا .
التاريخ الحديث يافا . بن بيللا المعقودة عليه . الآمال .

توظيفك التراث التاريخى ومحاولة المزج بين قضية العرب والاستعمار بمراحل
من التاريخ العريق . الفارس عادنا . عبارة تتردد كثيراً فى القصيدة . أسلوب
الFLASH BACK المستخدم فى السينما والتلى نوبل Télé Novel . يوظف
عادة بديلاً للتتابع التاريخى كنوع من أساليب التشويق .
أهم صيغة أسلوبية تستخدمها صيغة الأمر . الذى يفيد الرجاء . بعد خطم .
غالب . أرجع . مت . غب . اسكت . ابكين . اذكرن . قولى . دس . اذكر . اشترى .
امتدى .

وكذا صيغة الاستفهام وإن قلت : لماذا تخفى الأنجم ؟ فى أى زمان نحن -
وأى مكان ؟

من يبعث ماء للأموات ؟ من يسمعنا ؟ من يخرج من أرض الذكري نفس
الكلمات ؟

من يرجعنا للدينيا شبابنا ؟

وفى موضع آخر : ماذا بعدك يا يافا ؟ كم سنة ونصير حكاية ؟

أنتكون شهود المأساة ؟

أأكون أنا آخر أبناء أبى ؟

أموت بلاولد يتلو شعر العرب ؟

وأخر : يا مغرب من أين أتيت بكل ضحاياك ؟

هل أنت معين رجال لا ينضب ؟
وأخر : هل يستوطن شجراً آخر ؟

وهو أيضاً يستخدم أسلوب التداء الذي تكرر حوالى أربعين مرة مستخدماً في الأغلب الأعم الأداة (يا) على أن أسلوب الجمل التقريرية هي الأكثر شيوعاً على عكس ما وجدنا عند نزار مثلاً .

واللغة منبسطة تتفاعل مع المفرد العادى والمألوف ولاتلجأ للغريب أو ذى الاشتقاق النادر الاستخدام كما نجد عند كثرة من الأشعار . كما أن القافية متواترة كثيرة التردد حتى أنها لترد أحيانا بعد بيت وآخر من أبياته القصيرة التي تزاح بين كلمتين أو ثلاث أو أربع والأقل نادر والأكثر قليلاً نادر أيضاً بحيث تبدو المقطوعات متوافقة توافقاً هزجياً وجزياً وإن كانت تفعيلة مستعلن بصور تغيراتها المختلفة : مستعمل . متفعلن . مستعلن . متفعلن .. والثلاث الأخيرات صورها هي التفعيلة الأولى في البيت . هذه التفعيلة تبدو غالبية بحيث يمكن تصنيف القصيدة رجزاً يتردد كثيراً مع بعض اختلافات لا مبرر لها إلا أن أكون مخطئاً .

بعض اختلافات لا مبرر لها إلا أن أكون مخطئاً .
بعض اختلافات لا مبرر لها إلا أن أكون مخطئاً .
بعض اختلافات لا مبرر لها إلا أن أكون مخطئاً .
بعض اختلافات لا مبرر لها إلا أن أكون مخطئاً .
بعض اختلافات لا مبرر لها إلا أن أكون مخطئاً .
بعض اختلافات لا مبرر لها إلا أن أكون مخطئاً .
بعض اختلافات لا مبرر لها إلا أن أكون مخطئاً .
بعض اختلافات لا مبرر لها إلا أن أكون مخطئاً .
بعض اختلافات لا مبرر لها إلا أن أكون مخطئاً .
بعض اختلافات لا مبرر لها إلا أن أكون مخطئاً .